موضوعات المؤتمر الخامس

(لعام ١٩٧٨)

الوضع الدولي والعربي

الوضع الدولي

١ ـ تشهد الانسانية نمو الصراع واشتداده بين قوى العملية الثورية ، قوى الاشتراكية والتقدم والتحرر الوطني ، وبين قوى الامبريالية والرجعية • ان العالم على امتداده ، والحياة الاجتماعية بمجالاتها المختلفة ، السياسية والاقتصادية والايديولوجية والثقافية ، ميدان لهذا الصراع التاريخي ، الذي يشتد حينا في هذا المجال ويخفت في ذاك ، والذي يعكس في الوقت نفسه الاتجاهات الاساسية لعصرنا ، عصر الانتقال الثوري المتعدد الاشكال والسبل من الرأسمالية الى الاشتراكية •

وعلى الرغم من المصاعب والنكسات هنا وهناك ، فالحركة الثورية تواصل سيرها الى امام ، ان وجود النظام الاشتراكي يترسخ ، ودوره العالمي يتعاظم ، وقدرات بلداننا في نمو مستمر ، وحركة الطبقة العاملة في بلدان رأسمالية رئيسية تنمو مبشرة باحتمال تحولات ديموقراطية عميقة • وتسجل حركة التحرر القومي انتصارات هامة اخرها في افريقيا ، حيث انهارت اخر الامبراطوريات الاستعمارية ولم يبق للاستعمار سوى جنوب افريقيا وروديسيا • وكانت هزيمة الولايات المتحدة الامريكية في الفيتنام ولاوس وكمبوديا تعبيرا عن روح العصر وقدرة الشعوب على انتزاع استقلالها وحريتها وحقها في تقرير مصيرها واختيار طرق تطويرها •

ان الزمن الذي نعيش فيه ، هو زمن العمليات التاريخية الشاملة الرامية الى تجديد حياة الناس • في مركز هذه العمليات تقف الطبقة العاملة والكادحون بأيديهم وادمغتهم • انهم يصبحون اقوى ادراكا لوضع العالم ولوضعهم ولدورهم في الانظمة الاجتماعية القائمة ، واشد اصرارا على مطالبهم وحقهم في تقرير امورهم وتحديد الشروط الجوهرية لوجودهم ومستقبلهم وفي تقرير السلطة التي

تتصرف بادارة المجتمع وكذلك بنتائج عملهم .

٢ ـ ان الامبريالية ، وهي تواجه صعوبات ترتبط بالازمة العميقة للنظام الرأسمالي ، تؤجج التناقضات القديمة وتثير تناقضات جديدة ، وتبقى الخصم الجدي الخطر للانسانية بأسرها بسبب طبيعتها العدوانية والامكانيات الهائلة التي تسيطر عليها وتتصرف بها ، (لايزال حجم الانتاج الاجمالي وانتاجية العمل في بلدانها اعلى مما لدى الدول الاشتراكية المتطورة) ، وبسبب اخضاعها العالم الثالث لها واستنزافها لخيراته ،وقدرتها على مسايرة الثورة العلمية التكنولوجية لزيادة قوتها وامكانياتها على ملاحقة حد

٣ ـ لقد تقلص مجال السيطرة المباشرة للرأسمالية في العالم ، وضاق ميدان فعلها مع الانتصارات التاريخية للاشتراكية واحتداد الصراع الطبقي على النطاق العالمي . على انه برزت بعد الحرب العالمية الثانية ، بفعل الدور المسيطر والمتميز للولايات المتحدة الاميركية ، جملة اتجاهات على الساحة الرأسمالية أهمها :

ا ـ تكوين تحالف عريض سياسي ـ عسكري للدول الرأسمالية المتطورة عبر عن نفسه خصوصا من خلال الحلف الاطلسي . وقد جرى تدعيم هذا التحالف بشبكة من القواعد العسكرية والاحلاف الممتدة الى اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، بهدف محاصرة البلدان الاشتراكية ، وضربها والقضاء على الحركة الثورية في العالم الثالث وفي اوربا .

ب ـ تكوين تكتلات اقتصادية لتلك الدول أعادت بناء الاقتصاد المهدم في الحرب في الدول المهزومة وفي بعض الدول المنتصرة ، بقصد تقوية النظام الرأسمالي وتمكينه من الوقوف بوجه الاشتراكية ، والحد من التنافس بين الاقتصادات الرأسمالية نفسها .

جـ ـ نمو الطابع الاحتكاري للرأسمالية ، الذي عبر عن نفسه في الميدان القومي ، في التدخل المباشر والدور المقرر للدولة في اليات السوق الرأسمالية ، وفي دخول النقابات كعامل مؤثر

في سير الاقتصاد الوطني • كما عبر عن نفسه في تجاوز الحدود القومية وتسريع تشكيل شركات عملاقة متعددة الجنسيات وأسواق مشتركة أبرزها الجماعة الاقتصادية الاوربية المعروفة بالسوق الاوربية المشتركة •

د ـ تشابك مالي سائل في العالم الرأسمالي ودور متفرد للدولار بين العملات الرأسمالية وتحوله الى مقياس وضامن لها ، تعبيرا عن الدور المهيمن للاقتصاد الاميركي في الاقتصاد الرأسمالي واذا كان الدولار يتعرض لاهتزازات كبيرة منذ السبعينات نتيجة للنمو الاقتصادي في اوربا الغربية واليابان ، وازدياد قدرة هذه البلدان على منافسة الاقتصاد الاميركي ، فان التشابك المالي يؤدي الى زيادة شدة ووتيرة استغلال واستنزاف البلدان الفقيرة •

هـ ـ تشديد قبضة الدول الرأسمالية المتطورة ، على البلدان المنتجة للمواد الاولية وخصوصا البترول ، وتطوير جملة من الاساليب السياسية والاقتصادية لربط هذه البلدان بها •

وعلى الرغم من المؤسسات والسياسات المشتركة التي تعبر عن تلك الميول فالتناقضات بين الكتل الاحتكارية والدول الرأسمالية المختلفة قائمة • انها تكمن في اساس المجتمع الرأسمالي نفسه وفي النمو غير المتساوي الملازم للاقتصاد الرأسمالي ، والذي يدفع بها للاحتداد •

يكمن في اساس هذه الصراعات نمو الاحتكارات الى أبعاد غير معروفة من قبل ، واتساع نشاطها الذي يشمل فروعا متنوعة من الاقتصاد وامتدادها الى بلدان مختلفة • مع هذا النمو ، تخضع الاحتكارات العملاقة الدولة بصورة متزايدة لصالحها فيشتد طلب رأسمالية الدولة الاحتكارية ، حيث تستخدم الدولة اليات جديدة لدعم الاحتكارات ، فيستمر ويتصاعد الصراع على الاسواق وتقوم حرب مالية حقيقية تعبر عنها أزمات النقد الدائمة ، والتقلبات الكبرى في الاسعار ، وخصوصا اسعار المواد الاولية والبترول وتخفيض وتعويم العملات ، والحروب التجمركية • هذه الظواهر تعكس محاولة الاطراف الامبريالية الاقوى تأمين مصالحها ، اي

اعادة اقتسام الاسواق ومناطق النفوذ ، على حساب الاطراف الامبريالية الاضعف ، وتامين مصالح جميع الاطراف الامبريالية على حساب بلدان العالم الثالث ، وكادحي البلدان الامبريالية نفسها

ولكن مهما اشتدت التناقضات بين الدول الامبريالية ، فانها تسعى الى التكيف مع الاوضاع الجديدة في العالم • انها من جهة تحاول السيطرة على التناقضات الحاصلة او التي ستحصل بين الكتل والبلدان الراسمالية وتسعى لاخضاعها لمصلحة التناقض الاساسي بين الراسمالية والاشتراكية • وتحاول من جهة ثانية حشد القوى لموقف امتداد الاشتراكية واحباط اي انتصار لها ، بل وتقليص رقعتها وتصدير الثورة المضادة اليها • ولقد خاضت الولايات المتحدة الحروب ضد الثورة الصينية وضد كوريا الديمقراطية ومؤخرا في الفيتنام او دفعت ركائز حلفها لخوض الحرب ضد الاحتمالات الثورية كما جرى في عدوان اسرائيل على العرب عام ١٩٦٧ • وتبدي امريكا اهتماما خاصا ، بالبلدان التي تتمتع بمصادر طبيعية هامة ، او تبرز سمات رجعية وعنصرية خاصة . او يمكن ان تكون قاعدة لجيوش التدخل الاقتصادي ، فتعطي لها ادوارا خاصة بحسب استعدادها على النطاق الاقليمي كما هو الحال بالنسبة لايران والسعودية واسرائيل في الشرق الاوسط . وجنوب افريقيا في افريقيا ، والبرازيل في امريكا اللاتينية •

وتدرك الامبريالية ان الحرب الشاملة مع البلدان الاشتراكية ليست مخرجا مضمونا لها في الظروف الراهنة • ولهذا تتجه للسير بنوع من التعايش السلمي معها • لكنها تريد ان يبقى هذا التعايش محصورا بين الدول الاشتراكية والدول الامبريالية ، وان يتحول الى نوع من تقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، وان يكون كابحا للنضال الطبقي في البلدان الراسمالية ، وان تبقى الاوضاع الراهنة السياسية والاجتماعية في العالم على ماهي عليه ؛ وبنفس الوقت فانها تستمر على متابعة سياسة سباق التسلح وتطوير وتكديس اسلحة الدمار الشامل ، كما تحتفظ بحرية حركتها في اشعال الحروب المحدودة او مايسمى الان بالحروب بالوكالة •

لكن لاسياسة توحيد الدول الامبريالية سياسيا وعسكريا ولا التكامل الاقتصادي ، لامجاراة الاحتكارات للثورة العلمية التكنيكية ، ولا الأساليب والاليات الرامية الى تصريف الانتاج وفتح اسواق جديدة في البلدان النامية ، او اقامة العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية ، بقادرة على تخليص الرأسمالية من ازمتها العميقة وان كانت تخفف من حدتها احيانا ، هذه الازمة التي تشمل كل مجالات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والروحية والثقافية والسياسية ، والتي تعبر عن نفسها باشكال وابعاد مختلفة في مختلف البلدان وتجلب المواقب الوخيمة على حياة العمال والفلاحين والفئات المتوسطة ، وتؤدي الى تأجيج التناقضات وتوتير العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية ، واحتداد التناقضات بين الاحتكارات والبلدان النامية .

بذلك يزداد التناقض بين التركيب الاقتصادي والسياسي للمجتمع الرأسمالي وبين حاجات ومطالب العاملين والجماهير الشعبية ، بين النظام الرأسمالي الذي يتعاظم طابعه الطفيلي وبين متطلبات التقدم الاجتماعي والتطور السياسي الديمقراطي. وبذلك تتوفر شروط افضل لنضال الطبقة العاملة والشغيلة كله من أجل التقدم والاشتراكية .

ان النمو الكبير للانتاج في البلدان الرأسمالية المتطورة ، والارتفاع المحسوس للدخل ولمستوى معيشة الطبقات الشعبية في الخمسينات والستينات سرعان ماأعقبها الانكماش والازمة والبطالة وهبوط مستوى معيشة عشرات الملايين من الشغيلة ، وبالتالي افلاس النظريات الممجدة لنظام الملكية الخاصة بعد أن عاشت فترة انتعاش .. ان الرأسمالية في محاولتها لحل أزمتها على حساب الجماهير الشعبية ، تصطدم بنضال الطبقة العاملة ونقاباتها والقطاعات الشعبية الاخرى التي تستفيد من النظام البرجوازي الديمقراطي والحريات المتاحة . ولهذا تزيد عملية تصدير الازمة الى الخارج ، وخصوصا الى البلدان الفقيرة ، حيث تدفع

الجماهير الثمن في ظل غياب الحريات الديمقراطية والنقابية . وبذلك تتجاوب الدول الامبريالية مع تلك الانظمة في بلدان العالم الثالث ، التي تقوم بمصادرة الحريات وتطلق بالمقابل حرية نهب ثروات وعمل هذه البلدان لصالح الطبقات الطفيلية الداخلية من جهة ، ولصالح الدول الامبريالية من جهة اخرى .

٤ ـ اصبحت بلدان العالم الثالث من ابرز ساحات الصراع الطبقي على الصعيد العالمي . ليس لكونها تضم نسبة كبيرة من سكان الارض ، أو لانها بسبب ارتباطها بعلاقات تبعية للبلدان الرأسمالية المتطورة تشكل احتياطا كبيرا للرأسمالية العالمية وحسب ، بل ايضا بسبب التناقضات القديمة والجديدة التي تتولد عن الافقار المتزايد والاستثمار الشنيع لهذه البلدان ، وعن نمو الهوة الفاصلة بينها وبين البلدان الرأسمالية المتطورة . وترتبط بكيفية وسرعة انقطاع علاقات التبعية بين هذه البلدان والامبريالية ، وكيفية وسرعة القضاء على التأخر فيها ، وتأثر انتصار الاشتراكية في العالم ، وتنمو فرص السلام الدائم .

واذا كانت الثورة العظمى لشعوب المستعمرات قد ادت الى تحلل النظام الاستعماري ودفعت بها الى الحلبة الدولية ، فان واقع بلدان العالم الثالث كان ولايزال شديد التنوع ، تحدده عوامل كثيرة في مقدمتها نوعية الفئات الاجتماعية القائدة ، وعلاقات القوى داخل المجتمع ، والروابط مع السوق والدول الامبريالية وبالتالي نوعية التحولات الاجتماعية القائمة :

لقد ارتبط التحرر السياسي بالاستقلال الاقتصادي وبالانفكاك من العلاقة مع الامبريالية وسوقها في تلك البلدان التي قامت بعبء النضال القومي فيها حركات جماهيرية ، وجبهات شعبية واسعة ، واحزاب ماركسية لينينية مرتبطة بالجماهير ، عملت على اقامة تحالف عريض معاد للامبريالية ببرنامج نهوض قومي شامل . امام تلك البلدان انفتح طريق القضاء على التأخر الموروث وبناء الاشتراكية .

في جملة اخرى من البلدان ، حيث القوى الاصلا
المساومة اليدُ العليا ، لم يأت الاستقلال مشوها وغير ناجز وحس
، بل توطدت فيها مواقع رأسمالية هشة تابعة ، وتشاركت
الاحتكارات الامبريالية والفئات الطفيلية الداخلية في النهب
الشنيع لثروات تلك البلدان وفي افقار الجماهير ، وسادت ، على
الغالب ، نظم ديكتاتورية ارهابية ، تعمق تأخر البلاد وتعقد
مشاكلها .

وفي مجموعة ثالثة جرت محاولات المنهضة من فئات تنحد
من اصول شعبية وبرجوازية صغيرة ، وصلت الى السلطة بواسط
الجيش وحافظت على مواقعها في السلطة عبر المؤسسة العسكرية
نفسها . تميز النهج الاقتصادي لهذه البلدان بالتجريبية ، وحدثت
فيها جملة اجراءات اقتصادية اجتماعية كالاصلاح الزراعي
وتأميم رأس المال الاجنبي وقسم هام من رأس المال الوطني
وتكوين قطاع تابع للدولة سيطر على اغلب الفعاليات الاقتصادية .

وعلى الرغم من الافاق التي اشارت اليها تلك التجارب ،
فقد انتكس اغلبها لسبب اساسي هو موقفها السلبي من الجماهير
وعملها السياسي وعداوها للديمقراطية ، الامر الذي سمح لقوى
من داخلها ، نمت وتكونت عبر السلطة وتحولت الى برجوازية
بيروقراطية طفيلية أن تدير اتجاه البلاد مجددا في طريق تطور
مشوه تابع وان تنفتح على اعداء الامس الامبرياليين الذين وفدوا
مجددا تحت راية القروض والتقدم التكنولوجي .

ان العدد الاقل من البلدان ، الذي لايزال يسير على هذا
النهج سيبقى معرضا للانتكاس مالم تطلق الحريات الديمقراطية
وتتوطد مواقع الحركة الشعبية ويمارس الشغيلة دورهم الكامل في
حياة البلاد ، ومالم يجر قطع الارتباط بالامبريالية .

ان مراجعة الامبريالية الاميركية والامبرياليات الاخرى
لتجربة الماضي القريب دفعتها الى تغيير خططها في العالم الثالث
والى التكيف مع أنظمة غير تقليدية ، « تقدمية » و « راغبة في
التنمية » ، مستخدمة لهذا الغرض ، التضخم النقدي على نطاق لم

يعرف له مثيل من قبل ، وكوسيلة لتغيير توزع الدخل ، تنقل بواسطة حصص من الدخل من فئة الى فئة ، ومن طبقة الى طبقة ، من العمال والفلاحين وغالبية الطبقات الوسطى كالمستخدمين والموظفين ، الى شرائح وطبقات المستغلين الجديدة والقديمة كالسماسرة والمضاربين والتجار ورجال السلطة من مدنيين وعسكريين ، وتنقل بواسطته ايضا حصص أخرى من هذا الدخل الى الخارج .

ان افقار غالبية الشعب يتزايد في معظم بلدان العالم الثالث والتضخم النقدي فيها اكبر بعدة مرات من مثيله في البلدان الرأسمالية المتطورة . يقوم بتنفيذ هذا الخط السياسي ـ الاقتصادي أنظمة تلغي الحريات الديمقراطية وتستوعب النقابات في أطر القمع والشعارات والتعهدات ، وتخلخل بنى الامة ، وتحول الدولة من حيث هي نظام وقانون وحقوق الى أداة بطش مكشوف والى ممثلة للمصالح الخاصة والفردية والعائلية .

وكيفما كان الامر عن مشاكل العالم الثالث لايمكن النظر اليها على اساس انها ذات منشأ تقني ، يتعلق بتطور وسائل الانتاج . فالتأخر الراهن ليس مسألة تقنية ، وان تجسد في مستوى متدن للقوى المنتجة ووسائل انتاج غير متطورة . ان التأخر هو نتاج التبعية للامبريالية . وقد اظهرت التجربة التاريخية لاغلب بلدان العالم الثالث فشل برامجها للتنمية والتصنيع في احداث تحول حقيقي في حياة الجماهير ، وكذلك فشلها في ردم الهوة بينها وبين الدول الرأسمالية المتطورة ، الامر الذي لايعود لا لنقص الاعتمادات ولا لغياب التخطيط والتنفيذ المقلانيين ولا لقلة الدراسات او كثرة السرقات ـ على الرغم مما لهذه الامور من اهمية ـ بل بالاساس لجملة من العوامل في مقدمتها استمرار الارتباط بالامبريالية ونمو علاقات التبعية للسوق الرأسمالية والوسائل الجديدة التي استخدمها الامبريالية لتوطيد هما ، كما يعود لقمع الجماهير واستبعادها عن النشاط السياسي وتقليص مساهمتها في تقرير مصير بلادها واقامة دكتاتوريات عسكرية ارهابية مدعومة من الخارج .

٥ ـ تحرز بلدان المنظومة الاشتراكية نجاحات كبيرة في مختلف الميادين ، ويجري التطور بوتائر ثابتة ومتزايدة مؤكدا الافضلية التاريخية للنظام الاشتراكي ، وتفتح الثورة العلمية التكنيكية امامه افاقا عريضة لتطوير اكبر للقوى المنتجة وتلبية للمتطلبات المتنامية للانسان الجديد ، وتتعاظم قدرتها ، مشكلة قاعدة مادية ومعنوية راسخة للنضال لانجاز المهمة التاريخية لعصرنا ، مهمة دحر الامبريالية والقضاء على استثمار الانسان للانسان ، وضمان السلم والحرية والتقدم لجميع الشعوب .

ويبرز الاتحاد السوفييتي ، كاول دولة شقت طريق الاشتراكية ، وقدمت مساندة لقيام وتدعيم المنظومة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني العالمية ومجموع الحركة الثورية العالمية ، وكتجربة هامة لعملية البناء الاشتراكي .

وتظهر الممارسة الاشتراكية انه لاتوجد حلول جاهزة . وهي تترافق بصعوبات وتناقضات وتعبيرا عن نمو القوى المنتجة والوعي الاجتماعي ، يطرح الزمن متطلبات جديدة فتبرز ضرورة الطرق المختلفة في الكفاح للوصول للاشتراكية وفي بنائها .

والاشتراكية اذ تثبت افضليتها لجميع البلدان المتخلفة والمتقدمة ، فانها لاتلغي بجرة قلم كل التناقضات داخل المجتمع او بين الامم، الامر الذي يستدعي نضالا دائما لحلها ، بايجاد الحلول التي لاتتضمن ماتم التوصل اليه من القيم الايجابية السياسية والاقتصادية والروحية للديمقراطية وحسب ، بل وتتجاوزها . بذلك تستطيع قوى الاشتراكية ان تؤثر بشكل أشد على مسار التحولات الاجتماعية وتصبح عاملا لتطوير الاشتراكية وتأكيدها كمرادف للديمقراطية والمساواة في الحقوق والاستقلال والعدالة الانسانية والحرية .

وبسبب طابع المجتمع الاشتراكي والسياسة الخارجية الموجهة لفرض التعايش السلمي تمارس البلدان الاشتراكية نفوذا متزايدا على العلاقات الدولية ، وتلعب دورا بارزا في درء

حرب عالمية جديدة وفي تدعيم الامن الدولي ، وتعمل لتوطيد الصداقة والتضامن بين الشعوب .

ومما يثير القلق تلك التوترات الخطرة بين العديد من الدول الاشتراكية ، الامر الذي تستفيد منه القوى المعادية للاقلال من شأن المنجزات المتحققة ولتحطيم هيبة الاشتراكية بوجه عام ، وتستغله في المعارك الفكرية ، على امتداد العالم ، ضد انتصار التقدم . وكما اثبتت البلدان الاشتراكية مقدرتها على اقامة وتطوير علاقات سلمية مع جميع البلدان ، بغض النظر عن نظامها الاجتماعي ، فمن المطلوب ان تقوم ايضا علاقات طبيعية فيما بينها جميعا . وعلى الممارسة الاشتراكية ان تدعم وتثبت ان التناقضات بين الامم الاشتراكية هي من طبيعة مختلفة عن تلك التي بين الامم البرجوازية وان يجري تجاوز الخلافات والتناقضات بروح المثل الاشتراكية ، اي بروح الديمقراطية والمساواة والاخاء والتضامن .

٦ ـ نتيجة لتغير موازين القوى لصالح قضية السلام والديمقراطية والتحرر القومي والاستقلال والاشتراكية ، نتيجة لاشتداد نضال الجماهير الشعبية وقوى سياسية واجتماعية عريضة ، جرت في الوضع الدولي تحولات ايجابية تميزت بالانتقال من التوتر والمجابهة بين القوى الدولية نحو التعايش والانفراج . وحلت في اوربا مشاكل هامة كانت تسمم الجو الدولي . ، وعقدت اتفاقيات بروح التعايش السلمي بين الدول المختلفة النظم الاجتماعية . وعقد مؤتمر هلسنكي للتعاون والامن في اوربا الذي فتح افاقا جديدة للسلم والتعاون .

لجعل هذه التحولات غير قابلة للارتداد ، من جهة ، ولدفع التعايش السلمي خطوات ابعد ، من جهة اخرى ، لابد من النضال لفرض وقف لسباق التسلح وخصوصا التسلح الذري والغاء القواعد العسكرية في البلدان الاجنبية وسحب القوات المعسكرة في غير بلدانها ، والتخفيض المنهجي للموازنات العسكرية ، بالدرجة الاولى للدول الذرية ، والوصول لنزع السلاح .

وفي الوقت نفسه لابد من التصدي لممارسات الامبريالية في بلدان العالم الثالث. فثروات الشعوب يجب ان توضع تحت سيادتها الكاملة ، وان يوقف جريان هذه الثروات الى البلدان المتطورة ، وبالتالي لابد من اعادة النظر الجذرية بنظام العلاقات الاقتصادية الدولية القائم حاليا ، وبناء نظام بديل يقوم على التكافؤ .

وفي مجمل العلاقات الدولية اصبحت مسألة اشاعة الديمقراطية المطلب الملح للشعوب ، والذي بدون تحقيقه لايمكن تطوير التعاون الدولي على اسس المساواة وتبادل المنافع وبالتالي تأسيس اسرة دولية متحررة من الامبريالية ، وقادرة على التغلب على الاختلال العميق في التطور بين البلدان المتطورة والبلدان النامية ، اسرة دولية تقوم على اسس الاستقلال الكامل للامم ، وعلى مشاركتها النشيطة في بناء الحضارة الانسانية .

الحركة الشيوعية العالمية

١ ـ في العصر الراهن ، ومضمونه الاساسي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يشتد الصراع بين قوى العملية الثورية العالمية ـ دول المنظومة الاشتراكية ، والحركة العمالية وحركة التحرر الوطني ـ والامبريالية العالمية .

وتلعب الحركة الشيوعية دورا بارزا في تطور العملية الثورية ، وتؤثر وحدة فصائلها تأثيرا بالغا على نجاح قوى التقدم في تحقيق اهدافها .

٢ ـ يتميز الواقع الذي تعيشه الحركة الشيوعية المعاصرة بالانقسام الذي يميل الى التفاقم والاتساع ، ويمتد الى داخل العديد من الاحزاب ، مما ادى الى تشكيل مراكز متعددة وقيام احزاب متوازية .

ان الخلفية العميقة لهذه الانقسامات كامنة في طبيعة العلاقات التي سادت لفترة طويلة بين الاحزاب الشيوعية التي كان احد اسبابها الاستمرار الواقعي لوجود مركز قائد او موجه بالرغم من الغاء هذا المركز نظريا منذ عام ١٩٤٣ .

لقد قادت هذه العلاقات غير الطبيعية الى خرق مبادىء السيادة والاستقلال ازاء العديد من الاحزاب الشيوعية والعمالية ، بما فيها حزبنا الشيوعي السوري ، والى التدخل في شؤونها الداخلية لفرض سياسات لاتنسجم مع قناعاتها ومصالح الحركة التي تمثلها .

٣ ـ ان الاحزاب الشيوعية التي تناضل في ظروف نوعية بالغة التعقيد والتنوع ، لابد ان ينشأ بينها اختلاف في الرؤية او تناقض في المواقف ازاء الاحداث والمهام .

وتثبت الممارسة الثورية انه ليس ممكنا وضع صيغة او تصور واحد للطريق الذي يجب ان تسلكه هذه الاحزاب نحو الاشتراكية .

خلافات كهذه ، لايمكن حلها الا بالنقاش العلني المفتوح والانتقاد والانتقاد الذاتي ، وبالاعتراف بتنوع طرق وصول الامم الى الاشتراكية ، وبتنوع طرق بناء واشكال هذه الاشتراكية ، وبتنوع السياسة الاشتراكية • انها في اخر تحليل تعبير عن النضج والقوة والغنى السياسي والنظري للحركة الشيوعية •

واذا عولجت الخلافات استنادا الى هذه المنطلقات لمن تؤدي الى اعاقة العلاقات الرفاقية بين احزاب الشيوعية أو تعرقل التوصل الى المواقف المشتركة ، وخاصة ازاء القضايا الاساسية كالنضال المادي الامبريالية •

٤ ـ ان العلاقات السليمة بين فصائل الحركة تتجسد في احترام وتطبيق مباديء التضامن الاممي والمساواة واستقلال كل حزب وعدم التدخل في الشئون الداخلية •

والتضامن فيما بين هذه الفصائل حري بأن يظهر في تأييد الاحزاب القوية للاحزاب الضعيفة ، وليس في دوران الاحزاب الضعيفة في أفلاك الاحزاب القوية ، كما كان الحال دائما في الماضي • ومن الواضح ان المراعاة الدقيقة لهذه المباديء هي الشرط الاساسي لازالة الحساسيات القائمة والتوصل الى تعاون رفاقي ووحدة راسخة •

٥ ـ ان مبدأ الاستقلال الذي يطرح اليوم بصورة واسعة وملحة في صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، انما يعبر عن الضرورة التاريخية لان يرسم كل حزب سياسته بنفسه وبشكل مستقل تماما بما يتفق مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وكذلك الخواص الوطنية لبلده وبما يخدم تقدم العملية الثورية العالمية • وبمعنى اخر ، انه يعبر عن الحاجة الى ممارسة المسؤولية على النطاق الوطني • وهو كذلك تعبير عن ضرورة ممارسة الديمقراطية في العلاقات بين الاحزاب الشيوعية ، اي حرية كل حزب ان يقول كلمته وان يطرح اراءه ازاء مختلف القضايا السياسية والايديولوجية • فهذه القضايا لايمكن حسمها بالاكثرية والاقلية •

من ناحية اخرى تعكس الاستقلالية اتساع القاعدة الاجتماعية والجماهيرية التي تتعامل معها الاحزاب الشيوعية في عالم اليوم ، والتي لها وحدها الحق في اضفاء الشرعية على وجود اي حزب • فشرعية وجود اي حزب لاتتأتى من الاعتراف الدولي به ، بل من اعتراف جماهير بلاده بدوره وقدرته على المساهمة في تغيير الواقع في مصلحة الديمقراطية والاشتراكية والسلم •

ان نضال الاحزاب الشيوعية في سبيل استقلالها ينفي فكرة « الدولة القائدة » و « الحزب المرشد » • الا انه لاينفي الاستحقاق التاريخي لاي حزب من احزاب الحركة الشيوعية العالمية • فالخبرات الثورية لمجموع الحركة الشيوعية يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار من جانب سائر احزاب هذه الحركة • لكن الاستفادة من الخبرات والتجارب شيء ، ونسخها وتكرارها شيء اخر •

ان التطبيق الحازم للمبادىء الناظمة للعلاقات بين الاحزاب الشيوعية ، وفي مقدمتها مبدأ الاستقلال ، هو الضمانة الوحيدة كيلا يتحول هذا الاستقلال الى سوريالزم احزاب الحركة الشيوعية العالمية عن بعضها البعض •

٦ ــ يجب ان يبقى التضامن الاممي مبدأ موجها لسياسة الاحزاب الشيوعية • وموضوعة لينين القائلة : « ان يكون المرء امميا معناه القيام باقصى مايمكن تحقيقه في بلد واحد لاجل تطوير ومساندة وايقاظ الثورة في جميع البلدان » هي الاساس الافضل لهذا المبدأ في الوضع الراهن • فهذا المبدأ يفترض في التطبيق العملي ، التضامن مع الشعوب المناضلة في سبيل حريتها وتقدمها الاجتماعي ، والتضامن مع الاحزاب الشيوعية والحركات الديمقراطية كافة ، بغض النظر عن الاختلافات في الرأي والمواقف ، او عن طبيعة العلاقات القائمة فيما بينها •

وانطلاقا من ذلك فان اولى المسؤوليات الاممية لحزبنا هي صياغة سياسة وطنية ثورية سليمة ، والقيام بالواجب الوطني والديمقراطي مع جماهير الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين لتحقيق اهداف شعبنا في التحرير والديمقراطية

والاشتراكية والوحدة العربية ، والتضامن مع الشعوب والحركات والاحزاب الثورية التي بنت او هي في طريق بناء الاشتراكية ، ومع الاحزاب والقوى المناضلة في سبل تحرير اوطانها وتوطيد استقلالها الوطني وتعزيز الديمقراطية في بلدانهـا والسير في طريق التقدم الاجتماعي .

٧ ـ ان المهمة الملحة المطروحة امام الحركة الشيوعية العالمية اليوم هي التغلب على الوضع المتأزم وراب الصدع بين صفوفها والتوصل الى وحدة مبدئية راسخة .

فالخلافات الفكرية والسياسية ينبغي ان لاتكون سببا لتوتير العلاقات او قطعها بين الاحـزاب الشيوعية ، او مبررا لوضـع الحرم ضد احزاب معينة تتمسك بمبادئها واستقلالها لان هـذه التصرفات تزيد المصاعب امام وحدة عمل الشيوعيين في وقت هم احوج مايكونون فيه الى التعاون والتعاضد والوحدة .

فالاحـزاب الشيوعية والعمالية تملك اسسـا ومرتكزات ثابتة لتحقيق وحدتها واتخاذ مواقف مشتركة في القضايا الكبرى التي تواجهها . فهي طلائع الطبقة العاملة في بلدانها ، تلتـزم بالمصالح الاساسية لهذه الطبقة ، وتسترشد في نشاطاتها العملية بالنظرية الماركسية ـ اللينينية ، ولها عدومشترك هو الامبريالية العالمية ، وهدف مشترك هو الفوز بالحريـة وتعزيز الاستقلال الوطني وانتصار الديمقراطية والاشتراكية والسلم .

ان السير في طريق الوحدة يتطلب مناقشة ديموقراطيـة لكافة المسائل النظرية والسياسية المعقدة التي تواجهها الحركة الشيوعية العالمية . كما يتطلب صيغة جديدة متطورة للعلاقـة والتضامن الاممي ، تأخذ بعين الاعتبار تجربة الماضي ونتائجها . ويتطلب اخيرا مراعاة دقيقة وحازمة لمبادىء التضامن والمساواة والاستقلال وعدم التدخل في الشئون الداخلية قولا وعملا . ان لقاء الاحزاب الشيوعية الاوربية الذي انعقد في حزيران ١٩٧٦ في برلين خطوة على التعاون والنقاش الرفاقي الحر ، وهو مثل يمكن الاستفادة من نهجه في حل المشاكل القائمة في الحركة الشيوعية في العالـم .

حركة التحرر القومي العربيّة في تجربة تقدّمها وفي انكفائها

١ ـ مرت حركة التحرر الوطني العربية بمرحلة ازدهار نسبي طويلة في الخمسينات والستينات ، تم خلالها في اقطار عربية رئيسية تصفية الاحتلال الاجنبي وتحقيق الاستقلال السياسي ، والقضاء على الملكية واعلان الجمهورية ، ضرب بقايا العلاقات الاقطاعية المتجلية في الملكية الكبيرة للارض بتنفيذ اصلاح زراعي ، تأميم مواقع هامة لرأس المال الاجنبي في الاقتصاد الوطني ، السير خطوات على طريق التصنيع،ضرب مواقع البرجوازية التقليدية في البنوك والتجارة الخارجيةوتأميم ملكيتها في الصناعات الرئيسية وتكون قطاع الدولة في الاقتصاد الوطني . وفي هذا السياق ضعف نفوذ الامبريالية السياسي وقويت العلاقات مع المعسكر الاشتراكي ومع الاتحاد السوفييتي بشكل خاص .

كان هذا الازدهار جزءا رئيسيا في انطلاق حركة التحرر القومي العالمية ، في ظروف العالم الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، التي ساهم فيها انتصار الاتحاد السوفييتي على النازية وهزيمة دول المحور ، وتحرر جملة من اقطار اوربا الشرقية والوسطى وتوجهها نحو الاشتراكيةوانتصارالثورة الاشتراكية في الصين .

٢ ـ كشفت هزيمة ١٩٤٨ اهتراء الاوضاع العربية القائمة ، وعجز الفئات الحاكمة عن توفير متطلبات الدفاع عن فلسطين ، وارتباط اغلبها بالمستعمرين واضطهادها واستغلالها للشعب . ولم تكن الحركة الشعبية على درجة من النضج تكفي

للاطاحة بتلك الاوضاع . هذه العوامل مجتمعة كانت الارضية ، واحيانا المبرر ، لقفز اكثر من جيش عربي الى السلطة .

جرت الانقلابات بدوافع مختلفة وكانت الاصابع الاجنبية غير بعيدة عن بعضها ، الا انها عبرت في الوقت نفسه عن الدور الذي اخذ الجيش يلعبه في دول تابعة وحديثة التكوين ، ومجتمعات متأخرة تتكون غالبيتها من الفئات البرجوازية الصغيرة الفلاحية والمدينية ، ولم ينفتح امامها طريق مستقل للتطور البرجوازي أو تترسخ فيها الديمقراطية ، وتتصف بضعف وجود وتنظيم الطبقة العاملة ومحدودية وعيها الطبقي .

٣ ـ كانت حركة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ابرز الحركات العسكرية ليس لدور مصر الرئيسي في الوطن العربي ، حسب ، بل ايضا لان هذه الحركة طرحت خطا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا مغايرا للخط الذي كانت تطرحه الفئات الحاكمة ، مرتبطا بقضايا الوطن والمجتمع ، منفتحا على المهمات المطروحة عليهما في عصر انهيار الاستعمار التقليدي وبناء تجربة تاريخية جديدة للشعوب المستقلة حديثا .

دون غيرها من الحركات العسكرية التي زامنتها ، استطاعت حركة ٢٣ تموز ان تلخص في مسار حكمها التوجه الاجمالي لحركة التحرر القومي العربية ، فوضعت لنفسها اهدافا شعبية هي التحرر من الاستعمار وبناء دولة وطنية تستجيب لتطلعات الجماهير ، وضرب القوى التقليدية وخاصة الاقطاع ، والشروع في تجربة تنموية بالاعتماد على الدولة والدعوة لتوحيد الوطن العربي .

واكتشفت عبر الممارسة ضرورة العمل على بناء الدولة بعيدا عن القوى الاستعمارية ، فاخذت السلاح والقروض من البلدان الاشتراكية ، وتوجهت نحو التصنيع وأممت قناة السويس ، فاتحة امام شعوب المستعمرات الطريق لامتلاك الثروات الوطنية. ومع تقدم الحكم المصري على درب استعادة السيادة الوطنية ، وبتأثير نهجه المستقل ، نمت حركة الجماهير الشعبية العربية

مهددة الاوضاع القائمة في الوطن العربي ومشيرة الى تحول المنطقة من موضوع للسياسة الاستعمارية الى عامل فعال مقاوم لها . فكان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ذروة الصدام بين الحركة الشعبية والثورية العربية وبين القوى التي عملت على كبح الشعب العربي واعادة مصر الى دائرة نفوذها .

٤ ـ ابرز نتيجة لتلك الحرب هي يقظة الامة العربية ، يقظة الجماهير الشعبية وتسيسها وتصديها المتعاظم للاستعمار ومشاريعه ورفضها المتزايد للانظمة القائمة المفروضة عليها ، وتركيزها على الوحدة العربية كجزء مركزي من الثورة القومية الديمقراطية المعادية للهيمنة الخارجية والتجزئة والتأخر . بانخراط الدولة في مصر في النضال الوحدوي ، أصبحت الوحدة مسالة راهنة للسياسة العربية ، فكانت وحدة ١٩٥٨ بين مصر وسورية تعبيرا عن التحولات النوعية الحاصلة في الوضع العربي بذلك بلغت الثورة القومية الديمقراطية مستوى أعلى تتصدى فيه للتجزئة القومية .

تميزت تلك الفترة بالتحرك العفوي الشامل الملايين من الجماهير الشعبية ودخولها عالم السياسة ، بتحول رابطة القومية العربية الى قوة تغيير تاريخية تهدد الوجود الاستعماري والاوضاع السياسية الاجتماعية القائمة .

ـ خلال مرحلة النهوض هذه أزاح الجيش في العراق في تموز ١٩٥٨ الملكية التي ناضل الشعب طوال عقود للخلاص منها . لكن الحكم العسكري ، بدعم من قوى سياسية مختلفة ، حال دون انضمام العراق الى الدولة الوحدوية القائمة ، ثم شق الحركة الشعبية وأرهبها وعمق الصراعات القائمة بين تياريها القومي والشيوعي ، فتراجع النضال الشعبي وتفجرت الصراعات الداخلية ثم حدث انقلاب شباط ١٩٦٣ ، حيث تعرض الشيوعيون لمجزرة دموية عنيفة .

في اطار النهوض القومي الشعبي المشار اليه ، وكعلامة بارزة من علاماته ، انطلق النضال البطولي المسلح للشعب العربي القائد في الجبهة الاستعمارية وعن عدوانيتها ضد حركة

التحرر القومي ·

في الجزائر ، فحقق استقلال البلاد وبنى كيانا وطنيا ورفع القيود عن الثقافة العربية بعد مائة وثلاثين عاما من الالحاق بفرنسا ·

وشهد اليمن شمالا وجنوبا مدا شعبيا معاديا للاستعمار البريطاني والملكية والتجزئة الاقليمية · وعاش المغرب تحركات شعبية متتالية ضد النظام الملكي · وتصاعد النضال الشعبي في السودان لتحرير البلاد في بقايا السيطرة الاجنبية وفساد الحكم ، وخاض الشعب في لبنان نضالا باسلا ضد محاولة ربط البلد بالاحلاف الاستعمارية وضد التدخل الاميركي اثر انقلاب تموز في العراق · وتحرك الشعب في الاردن ضد النظام الملكي والاحلاف ، واتسعت المقاومة في شبه الجزيرة العربية لانظمة الحكم الاستبدادية والحكم الاستعماري المباشر ·

لمواجهة هذه التغيرات والتطورات البعيدة المدى ، التي اشارت الى بدء صياغة ميزان جديد للقوى لصالح الشعب العربي في صراعه مع الامبريالية والصهيونية والرجعية ، بدأ الاعداد لضرب حركة التحرر القومي العربية ، بالقضاء على الوحدة السورية المصرية اولا ، ومن ثم بضرب مركز النهضة الحديثة في مصر نفسها · لقد تألبت على دولة الوحدة قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية التي ازدادت حقدا عليها بعد حركة التأميمات عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١ التي كانت مؤشرا لانفتاح الثورة القومية على مهماتها الاجتماعية التقدمية · وكان غياب الديمقراطية عن دولة الوحدة من العوامل الرئيسية التي اضعفتها · على أن قوى محسوبة على التقدم ، واخرى ترفع لواء القومية ، لعبت دورا لايستهان به في مقاومة الوحدة واضعافها والتمهيد للانفصال الذي نفذته طغمة عسكرية متآمرة. وقد رعت الامبريالية جريمة الانفصال ، لكي لاتتمكن القوى الوحدوية من احباطها · بعد ذلك عادت في سورية البرجوازية التقليدية الى الحكم فترة قصيرة انتهت انقلاب الثامن من اذار ١٩٦٣ ·

٥ ـ يدخل عدوان حزيران كحلقة هامة في مخططات الامبريالية الاميركية للسيطرة على المنطقة العربية · وهو تعبير عن دورها

استهدف العدوان اعادة صياغة ميزان القوى في المنطقة بما يسمح للامبريالية الاميركية بالامساك بزمام امورها ،وتأمين نهب النفط ، وتوطيد مواقع رأسمالية تابعة ومرتبطة ، وتمكين اسرائيل من تحقيق خطوة توسعية جديدة - تم التحضير لضرب حزيران في جو من المزايدات اليسارية . قامت بها أطراف عربية عديدة لجر مصر ، تألفت الخطة الاميركية الاسرائيلية ، أولا ، من ضربة عسكرية لمصر تدفع بها الانكفاء على نفسها وتخنق نظامها سياسيا وشعبيا ، والاستيلاء على الارض وخصوصا الضفة الغربية وغزة ، واحتلال سيناء لتأمين الملاحة في الممرات المائية العربية ، والسيطرة على الجولان ذي الموقع الستراتيجي ، وثانيا من عمل اميركي واسع المدى متنوع الوسائل لاعداد بديل عربي متعدد الاطراف مستعد لتلبية المصالح الاميركية و لقبول المصالح الاسرائيلية -

٦ ــ وضعت حرب حزيران على المحك مرحلة تاريخيـــة كاملة - فالحرب ، اي حرب ، امتحان حقيقي لبنى الامة وكشف حساب لتقدمها - وماحدث في الخامس من حزيران كان نتيجة واقع وسياسات الانظمة القائمة،نتيجة التأخر التاريخي للمجتمع العربي وضريبة عدم تصفيته - لقد تضمن الخامس من حزيران جانبا عسكريا عبر عن نفسه بهزيمة منكرة للجيوش - لكنه تضمن ايضا جوانب اخرى ادت لاختلال ميزان القوى اختلالا عميقا لصالح العدو الاسرائيلي الامبريالي ، وقدم برهانا قاطعا على ترابط الثورة الوطنية الديمقراطية في جوانبها القومية والاجتماعية ، وعلى صعوبة احراز تقدم ثابت في احد هذه الجوانب على حساب اهمال او تجاوز الجوانب الاخرى - لقد كشف العدوان حملة أمـــور :

اـ كانت الوحدة السورية المصرية فرصة ، لم يكن من الجائز عدم رؤية طابعها التاريخي ، والتقاعس في الدفاع عنها تحت مختلف الحجج والذرائع - لقد كـان نجاح الانفصال في اعقاب هزيمة حزيـران -

ب ــ جرى التعامل مع القضية الفلسطينية ، كما لو كـان بالامكان تطويق الخطر الصهيوني بتدابير دفاعية بحتة ، وتجميد القضية الفلسطينية دون اعتبار كاف للطبيعة العدوانية والطابع التوسعي لاسرائيل، وعلاقتها بالاستراتيجية الامبريالية في المنطقة -

جـ ـ لقد اعلنت الاشتراكية كنظام ، بهدف اعطاء الدولة دورا اساسيا في التنمية والحد من الصراعات الطبقية وتلطيف الاستغلال الرأسمالي • لكن تلك الاشتراكية كانت اصلاحية ، انتقائية ، تجريبية وبيروقراطية • بينما الاشتراكية عالم كامل يتجاوز العالم القديم وينفيه ، اساسه سلطة الشعب المباشرة وملكيته لوسائل الانتاج ، والغاء استثمار الانسان للانسان • فالتاميم ليس الاشتراكية بعد • وملكية الدولة ليست ملكية الشعب بعد •

د ـ لم يتغير البناء الفوقي باتجاه الدولة الديمقراطية الممثلة للمجتمع ولمصالح طبقاته المنتجة • وماكان له ان يتغير بصدق ، اي ان يهدم ويبني محله بناء جديد اكثر انسجاما مع مصالح الشعب ومع العصر ، طالما التحولات تجري من فوق •

هـ ان الدولة الحديثة في المستعمرات السابقة هي نتاج الانتصار النهائي للثورة الوطنية الديمقراطية ، واداتها السياسية لحل المشكلات القومية والاجتماعية ولتصفية التأخر الموروث • وهي تتميز بقيامها على مبدأ المواطنة ومسؤولية الدولة امام الشعب بخصوص أمن الوطن وسلامته وامن المواطن وكرامته •

و ـ تحددت العلاقة مع الجماهير على اساس الوصاية عليها واتباعها للسلطة • الحريات الديمقراطية اعتبرت نتاج البرجوازية التقليدية ، وصودرت الحريات البسيطة التي كانت متاحة سابقا والغيت الاحزاب وجعلت الصحف ملكا للسلطة وسادت الاحكام العرفية • لقد بينت التجربة التاريخية انه لايمكن معارضة الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاجتماعية الاجتماعية فهما يسيران بموازاة بعضهما البعض •

٧ ـ ادت هزيمة حزيران الى رجحان كفة الامبريالية الاميركية واسرائيل ونشطت كل القوى الرجعية العربية ، واحدثت تغييرا في تناسب القوى بين الدول العربية ، اهمه ازدياد وزن الدول النفطية وخاصة السعودية • لكنها ادت ايضا الى انتعاش قوى اليمين في سائر المجتمعات العربية ، ورجحان كفتها داخل الدولة في مصر وسورية • لقد سدد العدوان ضربة شديدة للسياسة الناصرية بوصفها السياسة العربية المتقدمة ، وللنهوض الشعبي الذي شهده الوطن العربي منذ الخمسينات •

كان الموقف من إزالة نتائج العدوان ، اي الاحتلال ، هو الساحة الرئيسية التي تحدد فيها موقف الجماهير وجرت عليها التصفيات النهائية للصراع على الساحة ، والميدان الذي تست فيه اعادة صياغة تحالفات القوى ، داخليا وعربيا ودوليا • فالتوجه العفوي للجماهير ، ومضمونه التمسك باستمرار المعركة ضد الامبريالية واسرائيل عبر عن نفسه باشكال مختلفة ، ابرزها الهبة الشعبية العظيمة في مصر في التاسع من حزيران التي حالت دون سقوط جمال عبد الناصر ومنعت يمين النظام المصري مؤقتا من استلام الحكم ، وكذلك احاطة الجماهير العربية المقاومة الفلسطينية بالعطف بامل تحول كفاحها الى حرب تحرير حقيقية وتوجه الاجيال الجديدة نحو الماركسية ، كتعبير عن الحاجة لايديولوجية ثورية تساعد على وعي اسباب الهزيمة والنصر • الى جانب ذلك كانت هناك :

ا ـ سياسة جناح من السلطة في بعض الاقطار العربية ، ارتبطت به التجربة السابقة للعدوان بانتصاراتها واخفاقاتها ، حاول تهوين الهزيمة تحت دعوى ان العدوان لم يحقق اهدافه الاساسية التي هي اسقاط الانظمة التقدمية ، وقدم برنامجه الذي يقوم على اعادة بناء الجيش وتحسين التحالف مع الاتحاد السوفييتي ، والوصول عبر مزيج من استخدام القوة والدبلوماسية الى تسوية تعيد الارض المحتلة • لم ينقد هذا الجناح التجربة السابقة بل استمر عليها • وقد صفت الاحزاب الشيوعية العربية الى جانبه ولم يكن لها موقفا مستقلا •

ب ـ وسياسة جناح اخر تبلور برنامجه في الاقرار بالعجز عن مواجهة اسرائيل مواجهة تحرير ، وبضرورة الصلح مع الدول الامبريالية ، وتصفية الصراع العربي الاسرائيلي في صفقة شاملة • هذه القوى لقيت التشجيع والدعم من البرجوازية المحلية والرجعية العربية والامبريالية العالمية •

عجل في حسم الصراع الاجنحة جملة ظروف ، منها غياب جمال عبد الناصر ، الرمز القومي الذي كانت تلتف حوله الجماهير وضرب السلطة الاردنية للمقاومة الفلسطينية في ايلول ١٩٧٠ • فلم تلبث قوى اليمين ان اندفعت لحسم الصراع • وقامت الحركتان التصحيحيتان في سورية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٠ وفي مصر في ١٥ ايار ١٩٧١ بسهولة فائقة وبدون مقاومة •

٨ ـ تقدمت القيادات الجديدة ببرامجها • وهي ان اختلفت من حيث الاشكال والصيغ التي تراعي الاوضاع العيانية وظروف كل قطر ، فانها كانت من حيث الجوهر واحدة • الروح الموجهة لهذه البرامج هي :

أ ـ تقوية العلاقات مع الامبريالية ، وتصفية الامور العالقة معها ، والاقرار بمصالحها في المنطقة ، واعادة بناء العلاقات السياسية والاقتصادية وتطويرها •

ب ـ ايجاد حل للصراع العربي الاسرائيلي من خلال تسوية يجري الاعتراف فيها باغتصاب فلسطين والتنازل عن الحق العربي وافساح مجال حيوي لاسرائيل تحدد مداه المساومات وموازين القوى ، تسوية تتراوح بين الغاء حالة الحرب واقامة العلاقات السلمية الطبيعية ، السياسية والاقتصادية ، مقابل اعادة الارض المحتلة بعدوان حزيران او الجزء الاكبر منها ، واقامة كيان ما للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة ، تسوية تقر بالوضع الراهن ، وبحق اسرائيل في التدخل الفعلي للحفاظ عليه وكذلك بحق الولايات المتحدة بحمايته ، وتقييد مستقبل الشعب بمنظورات ومصالح الطبقة الحاكمة وبالقوة الاميركية الاسرائيلية •

ج ـ عربيا ، رفعت القيادات الجديدة شعار التضامن العربي بديلا لشعار الوحدة العربية ، يجري من خلاله الصلح مع الرجعية العربية ، والاستفادة من اموالها البترولية ومجابهة التغيرات الثورية في اي قطر عربي ، الامر الذي جسدته السياسة المصرية في السودان بدعم نظام النميري والتصدي لانتفاضة تموز ١٩٧١ ، والتدخل لفرض السياسات الخاصة والدفاع عن الانظمة الرجعية ودفع الاخطار عنها وضرب القوى المناهضة لها (التدخل السوري في لبنان ـ حزيران ١٩٧٦) •

د ـ داخليا ظهر الطابع الحقيقي للانظمة ، وتجسد برنامجها الطبقي في الممارسة • لقد جرى التحرر من الجمود في ميادين مختلفة ابرزها ميدان التجارة بوصفه الحلقة التي تربط الداخل بالخارج ، البلد بالسوق الامبريالية ، ومورس الانفتاح واستخدمت اليات الدولة الاقتصادية ، كالموازنة الانمائية ، والقروض الخارجية ، وطبع العملة بدون تغطية ، واليات اخرى شجعتها الدولة كالمضاربة على الاراضي والسوق السوداء لتوزيع

الدخل واعادة توزيعه بما يؤدي الى تكوين واعادة تكوين طبقة برجوازية تتشكل من جناح بيروقراطي واخر تقليدي ، تصبح العامل الحاسم في قيادة المجتمع .

قدمت القيادة الجديدة نموذج دولتها فلم تكتف بالمحافظة على الاستبداد الذي كان قائما وانما اطرته في قوانين ودساتير وحدثت اجهزة القمع واوصلت الاجهزة السرية الى حد الكمال وجعلتها تبسط سلطتها على جميع الميادين ، وشجعت الايديولوجية السلفية والانحلال البرجوازي ، كما ذكرت واعتمدت على الطائفية والاقليمية ، وفتتت الترابط في المجتمع .

٩ ـ دخلت الثورة القومية الديموقراطية في سيرورة انكفاء طويلة . فقوى الثورة المضادة أصبح لها الان اليد العليا في تقرير شؤون الوطن العربي .

وا ذاكانت عوامل كثيرة ذاتية وموضوعية ، عربية ودولية تفسر التقهقر ، فان هزيمة الخامس من حزيران هي نقطة الانعطاف في مسار حركة التحرر القومي العربية ، والمنزلق على طريق الانحدار الطويل الذي تدفع اليه متضافرة ثلاث مجموعات من القوى :

ا ـ القوى الامبريالية ، وفي راسها الولايات المتحدة : وتعمل لتامين السيطرة على المنطقة العربية ذات الاهمية الفائقة في الصراع الدولي والغنية بالنفط الضروري لالة الصناعية الامبريالية وهي توظف دائرة واسعة من القوى ، بدءا باسرائيل وانتهاءا الرجعية العربية ، وتستخدم جملة من الاساليب بدءا بتكوين مصالح اجتماعية وسياسية مرتبطة بها الى تسهيل قيام انظمة قهر استبدادية بشعارات وواجهات تقدمية .

ان الامبريالية لم تعد عاملا خارجيا ، بل انها تتفاعل مع البنى الداخلية للواقع العربي ، وتعمل على خلق او تدعيم مواقع تلك البنى التي يرتبط وجودها باستمرار التبعية لها . فطابع الانتاج الاحادي في الاقتصاد يتفاقم ، فيسيطر فيه انتاج المواد الاولية المعدة لتلبية حاجة السوق الراسمالية (البترول خاصة) ، مع مايرتبط بذلك من تردي او اختفاء الصناعات والزراعات المخصصة لسد حاجات الشعب ومن تدهور لقيم العمل والانتاج والقانون . وتحتكر الدولة الثروات الوطنية وتتصرف

الجارية • وامنهم غير مصان ، لان الدولة ورجالها هم الذيـن يهددونه •

حرية الفكر والعمل السياسي مصادرتان • والمعارضـة مقموعة أو مزجوجة في السجون بلا محاكمة • لاتعددية حقيقية للاحزاب ، واي وجدت فهي شكلية وقائمة في الاطارات المحددة والمصاغة من السلطة • الصحف تابعة للدولة وحرية الكلمة غير قائمة • النقابات والجمعيات المهنية مخضعة كليا للنظام •

هذه السياسة تدفع بالشعب بعيدا عن العمل السياسي ، وتنهي التحرك الشعبي المستقل وتلغي الشعور بالمواطنة ، وتعمق الاتجاهات المفرقة للمواطنين ، وتثير الشعور بالغبن عند الجماهير الواسعة ، وتبرز الى السطح مشاكل الاقليات المختلفة •

جـ ـ نمو الاقليمية • كان من المفروض أن تكون هزيمة حزيران دافعا حقيقيا للامة العربية للسير قدما بعملية التوحيد القومي ،لكن الواقع كان عكس ذلك ، خصوصا بعد غياب عبد الناصر والانقلاب السادات الذي افقد المشروع الوحدوي قاعدته لقد اصبحت التجزئة امرا مشروعا فوق ماهي واقع قائم ، واصبح التقوقع في الحدود الاقليمية الظاهرة التي تميز السياسة العربية للانظمة • ولم تكن المشاريع الوحدوية التي طرحت في التداول اكثر من اتفاقات مؤقتة بين الحكام سرعان ماينقضونها اذا اختلفت سياساتهم او اقتضت ذلـك مصالحهم • ومـع انحسار التوجـه الوحدوي الذي أساسه التحرك الجماهيري أصبح التضامن العربي في جوهره ، تضامن الانظمة للحفاظ على الاوضاع الراهنة • لكن ذلك لايخفي واقع الصدامات العربية المهددة بالتحول الى حروب أشقاء • وعلى الرغم من الاموال الهائلة التي يدرهـا النفط ، فاكثرية البلاد العربية تشكو نقصا كبيرا في الموارد وتبرز علامات المجاعة في بعضها ، حيث تنمو مدن التنك ، ومدن المقابر والبطالة والامية ، بينما تتآكل الاموال النفطية بفعل التضخم النقـدي في بنوك أوربا او امريكا • لم تؤد مشاريع التنمية العربية الى نتائج ملموسة • فالزراعة في ركود ، واحيانا بسبب سياسات بعض الدول في تقهقر ،والفرقمة الزراعية تضيق ، ونصيب الفرد من الارض المزروعة يتناقص باستمرار ، الامر الذي يحول الاقطار العربية الى مستورد للغذاء بعدما كانت غالبيتها مصدرة له • والصناعات المقامة ، اما متماثلة واما مرتبطة بالتصدير اي بمصالح ومخططات

الشركات المتعددة الجنسية • ان التنمية الجارية لم تقد الى زيادة تشابك المصالح الاقتصادية العربية ، بل ان التجارة بين الاقطار العربية في تناقص مستمر ، في حين يزداد ارتباط الاقتصادات العربية بالخارج •

وبمعزل عن دخل البترول ، فان الدخول القومية العربية، أي الدخول الناتجة عن العمل الانساني اكدة او آن نموها لايغطي زيادة السكان •

١١ ــ تشير حالة الوضع العربي الى عمق الازمة القائمة فالحاجة الموضوعية للوحدة بهدف صد العدوان ومنع القوة من داخل الامة ، تترجم في الواقع السياسي الى الاقليمية وابتعاد الاقطار العربية عن بعضها البعض ، والاموال الهائلة المتوفرة لاول مرة عند العرب تترجم الى مزيد من الافساد للفئات الحاكمة ومزيد من الفقر للملايين من المواطنين في أغلب الاقطار العربية، والارض الواسعة والمياه الغزيرة يقابلها تدهور الزراعة والسير نحو المجاعة • والاعداد الهائلة من الاطفال لايجدون المدارس المناسبة فتنمو الامية ، وعشرات الالف المثقفين والعلماء العرب يهاجرون الى الخارج أو يتكدسون في المكاتب بلا عمل منتج خلال ومقابل المائة وخمسين مليون عربي على امتداد الارض العربية تقف اسرائيل بملايينها الثلاثة تعمل على فرض شروطها عليهم تدريجيا • والاستقلال العربي الذي بذلت للحصول عليه التضحيات يتحول شيئا فشيئا الى أعلام وانا شيد حيث يزداد التدخل الاجنبي في الشؤون العربية ، والديموقراطية أكبر منجزات الانسانية ممنوع على الشعب العربي ممارستها •

ان نهوض الامة العربية مرهون بانتصار ثورتها القومية الديمقراطية التوحيدية ، وانطلاقها باتجاه الاشتراكية • ففي المرحلة الحالية من التطور العالمي الموسوم بصراع الامبريالية للحفاظ على مواقعها وبالانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، لايتحدد انجاز مهام الثورة القومية الديمقراطية من خلال التصدي لفئة رجعية أو يمينية داخلية متحالفة أو مرتبطة مع قوة امبريالية خارجية ، بقدر مايتحدد من خلال تصفية البنى القائمة التي تكبل الشعب العربي وتتيح للامبريالية بسط نفوذها على اقطاره ولقوى الرجعية والاستغلال التحكم بمقدراته • وتشير

التجربة التاريخية المكدسة الى أن نجاح وفشل النهضة القومية مرتبط بمدى اتساع وبنوعية القوى الاجتماعية المشاركة في النهضة والحاملة لوائها . وفي الوقت نفسه تشير التجربة الانسانية المعاصرة الى أن انعتاق الشعوب واستمرار تقدمها غير ممكن بدون تحرك وتحالف جميع القوى الشعبية الحية ، قوى العمل والثقافة ، وبدون تقدم الطبقة العاملة لصفوف الجماهير لتحقيق الديمقراطية والوحدة القومية والاشتراكية .

الوحدة العربيّة

١ ــ العرب امة واحدة ، لكنهم يعيشون في كيانات منفصلة معرضين للاضمحلال القومي والنهب الاستعماري والتخلف . فالوحدة العربية جوهر واساس القضية القومية ، وعملية توحيد الكيانات العربية هي جزء اساسي من الثورة القومية الديمقراطية المترابطة مع الثورة الاشتراكية ، وهدفها اقامة الدولة الواحدة .

يميز هذه العملية انها ليست تحقيقا لحاجة البرجوازيات القطرية للسوق الواسعة . فالوحدة تجسيد لطموح الجماهير الشعبية للدفاع عن وجود الامة العربية يوجه التسلط الامبريالي والغزو الاستيطاني الصهيوني المتمثل باسرائيل ، والرد عملي العدوان الاسرائيلي المتكرر والتصدي للاستيلاء على المزيد من الارض العربية ، والوحدة تكوين للاساس الموضوعي لتصفية التخلف وجزء لايتجزأ من العملية الثورية لفك الارتباط بالامبريالية العالمية ولبناء المستقبل الاشتراكي للشعب العربي .

٢ ــ ان الوحدة هي احدى المسائل المركزية في تطور الاقطار العربية . وهي ليست تجسيدا لحق تقرير المصير للشعب العربي المجزأ وحسب ، بل مسالة كبرى يتوقف على حلها مستقبله . فالتجزئة هي احد الاسباب الرئيسية للتطور المازوم والدائر في حلقة مفرغة في الاقطار العربية المختلفة والتناقض صارخ بين حجم وطاقات الامة العربية وبين دورها في الاحداث ، وقدرتها على التصدي والرد على تحديات العصر . ان الامة العربية لاتزال موضوعا للسياسة العالمية ولم تصبح بعد قوة فاعلة فيها . وعلى الرغم من كونها تحتل المكان الخامس في العالم من حيث عدد السكان والمكان الثاني من حيث مساحة الارض التي تحوي ثروات هائلة ، فهي منهوبة الثروات ، منتهكة السيادة وعاجزة امام الحركة الصهيونية ، التي استطاعت ان تقيم على ارض العرب كيانا استيطانيا عدوانيا يهدد امنهم ويبطئ بين الحين والآخر بمنجزاتهم .

كشفت المواجهة العربية مع اسرائيل والامبريالية ، وخصوصا حرب الخامس من حزيران ، ان التجزئة بحدذاتها عامل اضعاف للامة ، وبينت السنوات التالية للهزيمة عجز الكيانات

القائمة عن حشد الجماهير الشعبية والطاقات المختلفة لاستعادة الارض المحتلة ، وان الاستقلال السياسي ، الذي حققته الاقطار العربية بعد كفاح طويل ضد المحتلين ، سهل الانتهاك ، والسيادة الوطنية هشة وقابلة للانتقاص .

لعبت التجزئة دورا كبيرا في اعاقة تحقيق الاستقلال الاقتصادي . ففي اطارها نمت تبعية الاقطار العربية للسوق الراسمالية العالمية وازداد تفصلها بالنظام الامبريالي العالمي من حيث هي بلاد منتجة للمواد الخام ، وتشوه تطورها عبر نحو الطابع الاحادي للانتاج المرتبط بالحاجة المتزايدة للدول الامبريالية للطاقة والمواد الاولية الاخرى . فلكي تكف الاقطار العربية عن ان تكون ملحقات اقتصادية للدول الامبريالية لابد لها من بناء اقتصادها المشترك المستقل وهذا يتطلب تحقيق وحدتها السياسية اولا .

٣ ـ ادى دوام الاحتلال العثماني للوطن العربي اربعة قرون ، واستنزاف قواه الحية وعزله عن العالم الى تجميد التطور فيه ، ومكن الدول الاستعمارية الاوربية من الاستيلاء عليه ، واقتسامه فيما بينها . منذ ذلك الوقت اعيد تركيب هذه الاقاليم كولونياليا فتشكلت فيها اوضاع ، وتكونت بنى اقتصادية واجتماعية على اساس التجزئة ، بما في ذلك البرجوازيات العربية والمجتمعات البرجوازية المتخلفة التي لم يستطع الاستقلال السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ان يصفيها . طالما الوطن العربي في دائرة فعل الامبريالية والاقتصادات القطرية العربية اقتصادات تابعة للامبريالية ، تبقى البنى الاجتماعية الناجمة عن التجزئة قائمة ، وذلك بغض النظر عن تبدلات المواقع التي حصلت وتحصل بين الفئات البرجوازية .

ان الحفاظ على الكيانات القطرية هو سياسة ثابتة للامبريالية . يؤكد ذلك تاريخ المنطقة منذ المحاولات الاولى للاستعمار الاوروبي . واذا كان بعض الدول الامبريالية قد ناور على موضوع الوحدة ، وحاول استغلال العواطف الوحدوية للجماهير فهو قد عمل بدأب لتهديم اسس الوحدة بالاقتصادات القطرية المشوهة التي ساعد على تكوينها وبالكيان الصهيوني الذي زرعه في قلب الوطن العربي ، وبالادوات الانفصالية التي اقامها لمحاربة النضال الوحدوي للجماهير .

ان خط التجزئة هو خط القوى المناهضة للشعب العربي ، خط الامبريالية والصهيونية والكيان الاسرائيلي والرجعية العربية .

٤ ـ برهنت التجربة التاريخية على تشابك المصالح بين الطبقات والقوى الرجعية وبين الامبريالية . لقد حافظت هذه القوى على الكيانات القائمة وحاربت توحيدها . وبرهنت ايضا على عداء البرجوازيات القطرية للوحدة وتمسكها بالكيانات القائمة تعبيرا عن مصالحها الضيقة وتبعيتها للسوق الراسمالية العالمية .

وكما ارتبطت النهضة الاوربية بالتوحيد القومي وبناء الدول القومية الحديثة فان نجاح النهوض القومي العربي يرتبط بتحقيق الوحدة وبناء الدولة القومية الواحدة . على ان هناك فارقا جوهريا بين العمليتين . لقد وضعت البرجوازية الاوربية نفسها ، في مرحلة صعود الراسمالية وتعبيرا عن مصالحها الطبقية ، على راس الطبقات الشعبية لتحقيق الوحدة القومية . بينما تعجز البرجوازية العربية عن التصدي لمهمة التوحيد ، وتعادي اي تحويل وحدوي ، الامر الذي يضع المهام الديمقراطية ومنها مسالة الوحدة على عاتق الجماهير والطبقات الشعبية .

٥ ـ اذا كانت الوحدة التي تحققت بين مصر وسوريه نتاج الادراك وثمرة نضال الجماهير الشعبية ، فقد كان الانفصال بفعل التامر الامبريالي الرجعي الذي استخدم البيروقراطية العسكرية السورية اداة منفذة .

لقد بينت التجربة خطا تصور وسلوك التيار القومي الاصلاحي الذي تعامل مع الوحدة انطلاقا من تصور ميكانيكي لها ومن ممارسة بيروقراطية فيها ، اي من حيث هي جمع كمي لاجزاء الى جانب بعضها البعض ، تدار عبر البيروقراطية الموحدة ولم يلحظ ان التجزئة ليست حدودا سياسية فقط ، بل بالدرجة الاولى بنى اجتماعية واقتصادية وفكرية لها تاريخ وارتباطات داخلية وخارجية ، وان التوحيد هو عملية خلق جديد ، وهو ثورة بحد ذاته يتطلب حضور الجماهير وممارسة الديمقراطية . الى جانب ذلك ارتكبت الحركة الشيوعية اخطاء تاريخية في الموقف من الوحدة عندما عارضتها بالديمقراطية بدل

ان تناضل لتثبيت اركان الوحدة ولانتزاع الديمقراطية . وهكذا لم تستطع قضية الوحدة أن تتقدم على أرض الواقع على الرغم من توفر الفرص التاريخية .

ان البنى التقليدية القائمة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وخصوصا النظم القمعية المسلطة على الجماهير تمنع النضال الشعبي من تحقيق التقدم على طريق الوحدة . وعلى الرغم من كون العديد من هذه النظم يرفع شعار الوحدة العربية فانه يقف حائلا دونها . ان القوى الثورية في نضالها لتوحيد الوطن العربي ، لابد لها من مواجهة نظم القمع والتصدي للبنى القديمة التقليدية ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي فات اوانها ، واصبحت مخالفة لروح العصر وعقبة كبرى بوجه التجديد القومي .

٦ – في الواقع العربي الراهن ، وبسبب نمو السيطرة الامبريالية وتزايد سيطرة القوى الرجعية ونظم الاستبداد ، وتغييب الجماهير والغاء دورها الفاعل في السياسة ، تظهر جملة من الميول المعادية للامة أبرزها : تباعد الاقطار العربية بعضها عن البعض الاخر ، وتفاوت التطور فيما بينها ، ونمو تبعيتها للخارج ، وتفكك الكيانات القطرية ، وتفاقم التناقضات بين الاقطار وتحولها الى صدامات عسكرية .

أن الوحدة هي في صميم الثورة القومية الديمقراطية ، وأنكفاء هذه الثورة ، يدفع بالوجود القومي الى التدهور ، ويزيد في خطر تفتت الكيانات القطرية نفسها الى عشائر وطوائف ودويلات . هذا يؤكد ، اكثر من اي وقت مضى ، على مركزية الوحدة وطابعها الثوري .

٧ – ان خط الوحدة هو خط العمال والفلاحين والجماهير الشعبية وكل قوى التجديد في المجتمع العربي . تنطلق الطبقة العاملة من كون الديمقراطية الاطار الذي يؤمن للقوى الثورية اقصى قدر من الفاعلية لدفع عملية الوحدة الى امام ، وقطع سلسلة الوضع الانفصالي السائد حاليا في الوطن العربي . وهي تناضل في الصفوف الاولى من اجل الوحدة ولترسيخ محتواها الديمقراطي . فالديمقراطية ضرورية لنجاح العملية الوحدوية واستمرارها وتقدمها .

وكما تتلازم الوحدة مع الديمقراطية تتلازم مع التقدم والاشتراكية • ان الانتهازية في صف الحركة الاشتراكية تعمل لخلق الوهم بوجود تعارض بين الوحدة والاشتراكية،بين النضال من أجل التقدم وبين النضال من أجل الوحدة ،.وبان الوحدة تهدد المكتسبات القطرية للطبقة العاملة • ان الانتهازية تخدم بذلك مصالح البرجوازية والقوى المعادية لشعبنا ، فالطبقة العاملة لاتعارض الوحدة بالاشتراكية ، بينما يرتبط التيار الانفصالي بالرأسمالية •

ان القوى الوحدوية ، وفي مقدمتها الطبقة العاملة لن تخسر في الوحدة الا عالم التخلف • ولابد لها ، خلال نضالها الثوري من ان تخلق الادوات المناسبة لها النضال ، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العربي الموحد • فهو ضرورة تاريخية وخطوة كبرى الى امام على طريق وعي الطبقة العاملة لدورها ولقيامها برسالتها التاريخية •

ان الوحدة كسلطة جديدة للمجتمع العربي ، وليس التجزئة والتفتت القومي هي القادرة على ان تؤمن التطور الثقافي الحر والتجدد لكل الاقليات التي تعيش مع الشعب العربي وتضمن حق تقرير المصير للقوميات التي تعيش في مناطقها الاقليمية • وقوى التغيير الثوري الوحدوية الاشتراكية ، من بين سائر القوى الاجتماعية والسياسية ، هي التي ستؤمن هذه الحقوق ••

قضيّة فلسطين

١ ـ قضية فلسطين جزء جوهري من القضية القومية واحدى المهمات الرئيسية في الثورة القومية الديموقراطية المترابطة بالثورة الاشتراكية ، تنعكس عليها خصائص هذه الثورة ، وعلاقات القوى الحاصلة في المنطقة بين الشعب العربي والاطراف الخارجية والداخلية المعادية لتحرره وتقدمه ووحدة وطنه • ان التدهور الذي تعانيه القضية الفلسطينية ، خصوصا منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، هو تعبير عن الازمة العميقة للقضية القومية ، وبالتالي للثورة القومية الديموقراطية • فحدود القضية ، كما اظهرت تلك الحرب بوضوح ، ليست جامدة بل متحركة متداخلة مع استقلال وسيادة الكيانات الدربية القائمة وجدية تقدمها •

القضية الفلسطينية هي نتاج العدوان على الشعب العربي في فلسطين وتشريده من وطنه واقامة الكيان الصهيوني عليه ، وتعبير عن التهديد الدائم والعدوان المتكرر على الامة العربية والتوسع المتلاحق فوق ارضها • يتجلى فيها الفعل المشترك للقوى الاساسية المعادية للشعب العربي ، قوى الامبريالية والصهيونية العالمية واسرائيل والرجعية العربية • ويتكشف التناقض بينه وبينها ، ويعبر عن نفسه بانفجارات متتابعة • وفي الوقت نفسه تعكس القضية الفلسطينية ضعف الاوضاع العربية وعجزها عن مواجهة هذا العدوان مواجهة ناجعة ، والحفاظ على سلامة الارض العربية •

واذا كانت القضية الفلسطينية قد اكسبت القضية القومية العربية ملامح خاصة تتعلق بسلب الارض واقامة كيان عدواني غريب عليها ، وتشريد الشعب ، والتوسع واستنزاف الطاقات واعاقة التقدم ، والضرب المتكرر لمحاولات النهوض ، فانها ايضا قد كشفت بشكل ساطع ، حالة التجزئة العربية والتفتت والتأخر والتبعية •

٢ ـ ارتبطت القضية الفلسطينية نشوءً وتطوراً بتضافر جملة من العوامل :

أ ـ فهي نتيجة لنشاط الحركة الصهيونية العالمية ، التي عملت على تجميع اليهود من مختلف الامم فوق ارض فلسطين واجلاء الشعب العربي الفلسطيني عنها ، وبناء وطن قومي يهودي يجري توسيعه عبر الحرب والالحاق لاستيعاب موجات جديدة من الهجرة اليهودية .

ب ـ وهي نتيجة مخططات الدول الامبريالية التي نفذت بعد انتصارها في الحرب العالمية الاولى وقامت على تقسيم واقتسام المشرق العربي ووضع الحواجز بوجه التوحيد القومي وتكوين دولة ـ قاعدة ذات تكوين بشري غريب ، تفصل بين الشعب العربي في المشرق والمغرب وتستخدم لتأمين السيطرة على هذه المنطقة الغنية بالبترول وذات القيمة الاستراتيجية القصوى للنظام الرأسمالي العالمي .

جـ ـ وهي نتيجة مباشرة لسياسة الاحتلال البريطاني . فاذا كانت بدايات الاستيطان في نهاية القرن الماضي ، قد غذيت من الدول الاستعمارية انذاك ، فان الغزو الصهيوني الواسع والمنظم يرتبط بوعد بلفور ، وباحتلال بريطانيا لجنوب سورية والعراق ، ورعايتها لهذا الغزو ، كما يرتبط باحتلال فرنسا لشمال سورية ، ووقوع الوطن العربي بمشرقه ومغربه في قبضة الدول الاستعمارية .

د ـ لتأسيس اسرائيل علاقة وثيقة بالوضع الدولي للولايات المتحدة الاميركية بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية ، وتحولها الى قوة قائدة للامبريالية ، تسعى للسيطرة على العالم ، والاستيلاء على مناطق المواد الخام ، وتطويق البلدان الاشتراكية ، والوقوف بوجه الثورات الاشتراكية وثورات التحرر القومي واقامة نظام الاحلاف والقواعد العسكرية .

ان تأسيس دولة اسرائيل هو قرار اميركي بالدرجة الاولى جرت تغطيته بدفع هيئة الامم المتحدة لاصدار قرار التقسيم المشهور ، الذي هو تجاوز لصلاحيات الامم المتحدة ، وعمل عدواني على الشعب العربي وخاصة على الشعب العربي في فلسطين ، أعطى شرعية دولية للغزو الصهيوني وداس على حق تقرير المصير لهذا الشعب .

٣ ـ يعود الطابع العدواني للكيان الاسرائيلي ، اولا لكونه جزءا من المنظومة الامبريالية العالمية ، يرتبط بعلاقة خاصة بالولايات المتحدة الامريكية ، بحيث اصبح امن اسرائيل فرعا من الامن القومي الامريكي ، علاوة على الدور الخاص الذي تؤديه الامبريالية الامريكية لاسرائيل في تنفيذ سياستها في المنطقة العربية ، وعن قوة الحركة الصهيونية الامريكية وكون قيادتها احدى فصائل الامبريالية الامريكية نفسها . ويعود الطابع العدواني ، ثانيا ، لطبيعة هذا الكيان القائمة . على الاستعمار الاستيطاني واستيراد مواطني دول اخرى وتجنيدهم لتشريد الشعب العربي والاستيلاء على أرضه .

هذا الطابع حدد نهج الكيان الصهيوني في :

أ ـ التحالف مع الدول الامبريالية وخصوصا ضمان العلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة والتنسيق مع الحركة الصهيونية العالمية لتوطيد هذا التحالف .

ب ـ ضمان التفوق العسكري لاسرائيل .

جـ ـ تأمين مصادر دائمة للهجرة اليهودية ، ودفع اليهود للهجرة من اوطانهم التاريخية لتغذية عملية الاستيطان المستمرة

د ـ التنسيق مع الدول الامبريالية للحفاظ على الوضع الراهن للمنطقة العربية .

لذلك تقوم سياسة الكيان الاسرائيلي من جهة ، على الاستزاف الدائم لموارد الكيانات العربية المحيطة ودفعها نحو الفقر ، ومن جهة اخرى على الحروب الدورية لتحطيم القوة العسكرية لهذه الكيانات ودفعها الى درك العجز ، وبالخاصة لانهاك مصر بأمل انكفائها داخل حدودها القطرية ، والحفاظ على التجزئة في المشرق العربي ، بل والمساعدة على تفتيت كياناته القائمة الى دويلات طائفية متناحرة ، كما يسعى اليه في لبنان بالتعاون مع فئات من الرجعية اللبنانية .

٤ ـ تاريخ الحروب الاسرائيلية ضد العرب ، بدءا من حرب ١٩٤٨ حيث جرى تهجير اكثرية شعب فلسطين العربي ، والاستيلاء على معظم أرضها ، مرورا بحرب ١٩٥٦ التي شاركت فيها بريطانيا وفرنسا لتصفية نظام عبد الناصر الوطني وقطع الطريق على حركة التحرر القومي العربية ، وانتهاء بحرب حزيران

١٩٦٧ وماولدته من تفاعلات ، يؤكد بمجمله وبمفاصله الاساسية على الدور الاجرامي الذي قام ويقوم به الكيان الصهيوني في كبح النهوض القومي العربي ، وعلى ارتباطه العضوي بالامبريالية وتناقض وجوده مع وجود الشعب العربي وسيادته وتقدمه . لكنه يعبر ايضا عن قصور السياسة القائمة تجاه القضية الفلسطينية :

اولا : لايمكن فصل هذه القضية عن مجمل القضية القومية العربية . فهي ليست قضية استيلاء على قطعة ارض من الوطن العربي فقط ، وليست قضية الفلسطينيين وحدهم . فالدفاع عن فلسطين والنضال من اجلها مهمة عربية عامة لاتتضمن التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ، بقدر ماتتضمن الدفاع عن الوجود العربي نفسه .

ثانيا : لايكفي النظر الى القضية الفلسطينية من زاوية علاقة الكيان الصهيوني بالامبريالية العالمية ، وكونه اداتها الرئيسية الضاربة في الوطن العربي دون رؤية تجليات واثار التبعية للامبريالية في الاوضاع العربية نفسها ومكافحة هذه التجليات والاثار .

ثالثا : لايمكن اعتبار احتلال فلسطين قضية عسكرية بحته وبالتالي فاستعادتها تتم عبر تحديث الجيوش العربية . ان المؤسسات والبنى العسكرية العربية تتحمل قسطا كبيرا من مسؤولية الهزائم التي نزلت بالعرب . لكن لايكفي اصلاح وضع الجيش وحده دون مواجهة التأخر الشامل في مختلف البنى القائمة .

٥ ـ قاوم الشعب العربي في فلسطين الغزو الصهيوني باشكال مختلفة ، وصمد نضاله مع تعاظم خطر اقتلاعه من أرضه على الرغم من ضعف وقصور قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية وانحصار هذا النضال في اطار اقليمي ، بعد ان حجبت القيادات العربية الرسمية المساعدات عنه وحالت دون اشتراك الجماهير الشعبية فيه ، وعلى الرغم من الرجحان المستمر لميزان القوى لصالح الغزاة الصهاينة ، الذين استفادوا من قصور وعجز الاوضاع العربية ، وتامر الرجعيات الحاكمة في اقطار عربية هامة ، ومن تحالفهم مع الدول الامبريالية .

بعد تأسيس الكيان الصهيوني تابع الشعب الفلسطيني نضاله الوطني ، واتجه للنضال المسلح الذي اتسع بعد هزيمة حزيران وتبلورت حركة المقاومة الفلسطينية كتعبير رئيسي عن الحركة الوطنية الفلسطينية يحظى بدعم الجماهير الشعبية العربية • وبانتزاع الاعتراف الدولي بقضية فلسطين بوصفها قضية تحرر وطني ، استطاعت المقاومة انجاز مهمة كبيرة •

الى جانب تامر الامبريالية والصهيونية ، واجه الشعب العربي الفلسطيني تامر الرجعية العربية وحرابها ، كما جرى في ايلول ١٩٧٠ وفي لبنان خلال الحرب الاهلية ، وكذلك محاولات بعض الانظمة العربية احتواء نضاله واستخدام قضية فلسطين كورقة ضاغطة للمساومة مع الامبريالية والصهيونية •

ان الاسباب العميقة التي دفعت بحركة التحرر القومي العربية بعد هزيمة حزيران الى الانكفاء شملت ايضا المقاومة التي أخذت تتعثر وتحاصر لصالح التيارات المساومة الفلسطينية والعربية •

يؤكد نضال شعب فلسطين ذي التضحيات الكبيرة ، ان حل القضية الفلسطينية هو حل عربي بالضرورة ، يتجاوز قدرات وطاقات هذا الشعب ، وان نهوض مقاومة شعبية واسعة مرتبط بنهوض ثوري عربي جديد ؛ وبالتالي فنجاح الحركة الوطنية الفلسطينية تحدده نجاحات الحركة الشعبية العربية والتضامن المتبادل والتلاحم فيما بينهما •

٦ ــ لعبت جملة من العوامل العربية والدولية دورها في توجه الانظمة العربية نحو تسويه مشكلة الشرق الاوسط • لعل الارضيه المناسبة لذلك هي الاوضاع السياسية العربية التي ألغت الدور الفعلي للجماهير ، وغيبتها عن ساحة النشاط السياسي ، الى جانب فداحة الهزيمة العربية ، وكون الخروج منها يتطلب تغييرا جوهريا في الاوضاع القائمة • كان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الاساس الذي انطلقت منه مشاريع التسوية ، واستمرار للروح التي املت قرار التقسيم • فاخذ

شعار «تصفية آثار العدوان» الذي طرح بديلا لشعار تحرير الارض» يحل بدوره المكان لشعار «تسوية أزمة الشرق الاوسط» كتعبير عن نمو الميل للتسوية ، التي سيطر اتجاهها . منذ اول السبعينات بوصفها الخلاص النهائي من قضية فلسطين والصلح مع اسرائيل . فهزيمة حزيران لم تغير الكيانات المحيطة باسرائيل جغرافيا فحسب ، بل ساهمت في تغييرها سياسيا . فدخلت الثورة القومية الديمقراطية العربية مرحلة انكفاء وتراجع ، وسيطرت على مراكز القيادة والتوجيه قوى ترتبط مصالحها بتوطيد التحالف مع الامبريالية وازاحة كافة العقبات من طريقه .

لعبت حرب تشرين التي خطط لها لتكون حربا محدودة دورها في دفع عجلة التسوية . فقد خلقت بعض من التوازن الظاهري بين الكيان الصهيوني ومصر ، الضروري للسير في التسوية وخلقت الميل الاستسلامي لدى الحكام العرب وخففت الى حين من شدة الازمة التي يعانون منها . وبصرف النظر عن نتائجها والاهداف التي رمى اليها مخططوها ، فانها حلقة من حلقات الصراع المتصل مع العدو الصهيوني ، تؤكد ان الطريق لتحرير فلسطين والاراضي المحتلة هو طريق الصراع المستمر حتى تحقيق الانتصار النهائي للشعب العربي .

تقوم التسوية التي تريدها الانظمة المعنية على اعادة الارض المحتلة في حزيران او بعضها مقابل الاعتراف باسرائيل وبشرعية اغتصابها لفلسطين ، واقامة العلاقات « السلمية والطبيعية » معها ، اي باتساع المجال للمصالح الامبريالية الاسرائيلية بالنمو في الاقطار العربية ، وتحويل القضية الفلسطينية الى قضية اقامة كيان فلسطيني ما في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وكذلك الاقرار للدول الكبرى ، وعمليا للولايات المتحدة ، بحق التدخل للحفاظ على الاوضاع التي تقرها التسوية او تنشأ بموجبها . ان التسوية المطروحة هي مقايضة على استقلال ومستقبل الشعب العربي .

٧ ـ اكد اتفاق كامب ديفيد بين النظام المصرى والعدو الاسرائيلي الاتجاه الذى تسعى الولايات المتحدة لتصفيه بين العرب والكيان الصهيوني ، فالتسوية التي طرحها استسلام صريح ، وهي الثمرة المنطقية لسياسة الطبقات المرتبطة المصالح بالامبريالية ، وتعبير عن فشل برامج الانظمة القائمة في التصفية القومية وتحقيق لاهداف عدوان حزيران ٦٧ إنها تضع البلاد العربية امام وضع جديد وتعرضها لخطر السيطرة الامبركية الصهيونية المشروعة بارادة الحكام المستسلمين .

ا ن التصدى للتسوية المطروحة هو مهمة وطنية رئيسيه . فالاستسلام المقنع يهدد بالتحول الى استسلام صريح والقوى الوطنية والثورية مطلوب منها الوقوف بوجه التفريط بالقضية القومية واحداث تبديل جوهرى يكون اساسا لاوضاع اخرى توقف التراجع القائم وتنتقل الى مرحلة اعلى على طريق حل التناقض بين الشعب العربى والصهيونية لصالح سيادة الشعب العربى ومستقبله وامنه

المطلوب ليس ردا على سياسة القيادة المصرية او غيرها وحسب ، بل ردا شاملا وجذريا على مجمل السياسة الامبركية الممارسة منذ عشرات السنين ، واعداد الحرب استنزاف ودفاع حقيقيه ضد اسرائيل . ان حربا كهذه ، طويلة وشاملة ، تحتاج الى جيش مقاتل ومجتمع مقاتل . حرب من هذا النوع لاتستطيع ان تقوم بها انظمة اجتماعية جوهرها الاثراء السريع على ظهر الشعب وبالمضاربات العقارية والسرقة والطفيلية .

ان نضال الطبقة العاملة ضد الافقار والنهب ومن اجل الديمقراطية وسيادة القانون شرط لتوجه نضالي ضد الاحتلال الاسرائيلي والمخططات الامبركية .

٨ ـ لقد استغرق الصراع العربي الصهيوني اكثر من ثمانين عاما . فهو بعمر الاجتياح الامبريالي لهذا الوطن . ان مسار هذا الصراع معقد وطويل . وقد تضمن حتى الان العديد من الهزائم ، التي ساهم فيها عدم ادراك الماهية الحقيقية للوجود الاسرائيلي وتناقضه مع الوجود العربي والمستقل للشعب العربى .

ان التسوية التاليه ، ان كتب لها النجاح ، ستكون موقتة لانها تتعارض مع مصالح الشعب العربي ولن تعيد الهدوء الى المنطقة ، الا الى حين . فالكيانات العربية القائمة ، وان تخلت عن القضية الفلسطينية ، لن تكون بمنجاة عن العدوان وتوسع الكيان الصهيوني .

لايمكن حل التناقض بين الامة العربية واسرائيل الا بانتصار الامة العربية ، وتحرير فلسطين من الكيان العنصري الغاصب . وهذا الحل يرتبط بالمسار المقبل للشعب العربي وقدرته على دفع عملية التوحيد القومي الى امام وتصفية التأخر القائم وصنع التقدم ، ولايتنافى مع عيش اليهود مع الشعب العربي وتمتعهم بجميع حقوق المواطنة .

السياسة ، مجردة من الحريات الديمقراطية التي هي وسائل الدفاع عن النفس • لقد الحقت الدولة بها أغلب الفعاليات وأخضعت لها كل النشاطات الاجتماعية ، وسدت المنافذ على مبادرات الافراد والجماعات • وصارت الشمولية الاستبدادية الصفة الغالبة عليها • عبر التأميمات أو المائدات النفطية تحولت الى رأسمالي أعظم يستغل خيرات البلاد لصالح الجماعات والفئات المرتبطة بالحكم ، ويسيطر من خلال الاليات الاقتصادية المختلفة ، كسياسة الاسعار والتضخم النقدي والموازنات الانمائية على اعادة توزيع الدخل عاملة على رسم خارطة جديدة للمجتمع أساسها تكوين طبقة غنية تكون عمادا للدولة وفي الوقت نفسه على افقار باقي فئات المجتمع الكادحة افقارا فظيعا •

لقد تحولت الدولة الى أداة نهب والشعب الى موضوع نهب. يضاف الى ذلك فساد أجهزتها وتراجعها فسادا ظاهرا لا يطاله حساب أو عقاب • لقد ادخلها ذلك في تناقض صدامي مع المجتمع فأصبحت حريته نقيض حريتها واستمرار نموها تقزيما له والمزيد من حريتها يعني المزيد من عبودية المجتمع • ذ من أجل استمرار هذه النمط من الاستبداد تلجأ الدولة الى كل وسائل الاضطهاد والتضليل ، والى نشر الفساد أو التستر عليه ، وتشجيع الميول المفتتة للمجتمع ، والاشكال ماقبل القومية، كالطائفية ، وهي أخطرها لانها يمكن أن تدفع بالمجتمع حتى الحرب الاهلية المدمرة كما في لبنان أو تبقيه في حالة متفجرة كما في أقطار عربية أخرى •

ب ـ تنفي الديمقراطية من الحياة العربية بوسائل الاستبداد الصريح وبأساليب تنظيمية مختلفة وبتغطية أيديولوجية تنتحل صفة التقدم • ان المحكومين لايختارون حاكميهم • فهؤلاء يأتون بالانقلاب العسكري وبالقوة • والاستفتاءات اللاحقة هي مسرحيات هدفها اسباغ المشروعية على عمليات اغتصاب السلطة المتوالية • الدساتير ، ان وجدت ، مفصلة على قياس الحكام ، وموجودة لغرورات الحديث عنها أمام الرأي العام العالمي • والواقع الحال أن البلاد العربية تعيش اما تحت سيادة الحكم المطلق ، واما تحت سيادة الاحكام العرفية • السلطة غير خاضعة لحساب الشعب وليست مسؤولة عن تقديم الحساب أمامه • ومساواة المواطنين غير قائمة فالناس مقسومون الى أبناء الست وأبناء

بها بمعزل عن ايـة رقابـة شـعبية ، بما يؤدي الى هدرها والى نـزفهـا المستمر للخارج . وتستولي على فائض قيمة قـوة عمـل المنتجين وتميـد توزيع الدخل القومي الذي يتشارك في نهبه الامبرياليون والفئات والشرائح التي تشكل القاعدة الاجتماعية للدولة • ويدفع عجز القطاعات الاقتصادية عن النمو السليم واشتداد النهب لخيرات البلاد ، الى زيادة الطلب على القروض الخارجية وعلى الاستيراد مع مايرتبط بذلك من ازدياد التبعية •

ب ـ القوى الرجعية العربية وخصوصا السعودية : وقد زاد وزنها في الاوضاع العربية بعد هزيمة حزيران ونزع الناصرية في مصر وضرب الحركة الشعبية العربية ، واصبحت ، برفع وتيرة استخراج ونهب النفط العربي ، تتصرف بامكانيات مالية كبيرة ، تستخدم جزءاً منها في تعزيز الثورة المضادة وافسـاد الفئات الحاكمة في أقطار عربية عديدة •

جـ ـ القوى الحاكمة في العديد من الاقطار التي كانت مسرح نهوض حركة التحرر القومي العربية ؛ وقد نمت من داخل الاوضاع والانظمة ، وتمكنت من السيطرة على السلطة مستخدمة اياها في قيادة عملية الارتداد عن أهداف حركة التحرر القومي ، وفي التغييب التام للجماهير الشعبية عن ساحة الفعل السياسي •

١٠ ـ يتجلى انكفاء الثورة القومية الديموقراطية العربية في جملة من الظواهر ، التي تضرب جذورها في المراحل السابقة لكنها برزت وتحددت منذ السبعينات على الخصوص :

ا ـ نمو النمط الاستبدادي للدولة وانبعاث الاستبداد الشرقي • فمع تزايد ضعف الدولة بمواجهة السياسات الدولية المعادية للشعب العربي وازدياد تدخل الدول الامبريالية في شؤون المنطقة ، والعجز الفاضح عن تحرير الارض المحتلـة بعدوان حزيران ، اشتدت سطوة وتسلط الدولة على المجتمع محولة اياه الى ملحق بها فكفت عن أن تكون الدولة الممثلة لمصالح المجتمع (كائنا ماكان المنظور الطبقي لهـا) وتراجعت الى دولـة العشيرة والعائلة والطائفة والطغمة ، والى نوع مـن الدولـة المملوكية مفصولة عن الشعب ، شؤون الحكم والسياسة فيها وقف على العاشية بينما الكتلة الاساسية من الشعب ممنوعة من ممارسة